قصة قصيرة قصة قصيرة قصة قصيرة قصيرة

الطريق إلى الجنة

حسام الحاتمي

منشورات الواحة

الطريق إلى الجنة

حسام الحاتمي

© جميع الحقوق محفوظة لدى منشورات الواحة.
عنوان الكتاب: الطريق إلى الجنة. تأليف: حسام الحاتمي.
نوع الكتاب: قصة قصيرة. عدد الصفحات: 16صفحة.
الناشر الإلكتروني: منشورات الواحة.
الرقم الدولي **EBIN**: 38-06-1-230618

لمتابعة جديد منشورات الواحة:

واتس: 00967779284583

إنستقرام: **manshurat_alwaha** تيليجرام: 9dWSGDis.gd/

يسمح بنشر محتوى هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني فقط مع تضمين وسم: (#الطريق_إلى_الجنة).

ولا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة المؤلف.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي منشورات الواحة

منشورات الواحة

"إلى كل الباحثين عن جنتيّ الأرض والسماء...
الطريق يبدأ من هنا.."

المؤلف.

"من أينَ الطّريقُ إلى الجنّة؟". سألتْه على هامشِ مُحاضرةٍ مَلحميّة تحدّثَ بها عن الجنّة وزُخرُفِها. في قاعةٍ لطالبات كليّة الحُقوق. نظرَ إليها، بعَينينِ حادّتين وتائهتَين في المَداءات البعيدَة، وأشارَ إلى صَدرِه، ثمّ قال بإيمان: "إنّها من هنا.. إنّها تبدأُ من هنا." كرّر ذلك وهو يُشيرُ إلى صدرِهِ ثلاث مرّات.

في كلّ إشارةٍ من الرّجل إلى صدرِهِ كان قلبُ الفتاةِ يَهوي بها سَبعين ربيعًا في الجنّة. لم ينتهي الرّجل من حديثهِ حتّى تَراءى لها وِلدانٌ مُخلّدون يَطوفون حَولَها بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من مَعين. كان المُحاضرُ لا يَزال شابًا يانعًا، كأنّه أخذَ للتوّ شهادةَ الدّكتوراه وأتى إلى الجامعةِ قبلَ أن يذهبَ إلى أمّه. في بدايةِ الثّلاثينَ من عمره. وَسيمًا بشكلٍ طاغٍ لدرجةِ أن دخلَت سائلتُه عوالمَ الحبّ لأول مرّة في حياتها، تلك العوالم التي ستَقلبُ حياتَها رأسًا على عقِب. على وَجهِه بضع شَعرات سَوداء داكنة، متفرّقة، يَبدو أنه يُلملمها منذُ

زمنٍ ليُكوّن بها لِحيتَه، ولكن شاءَت جِيناتُه إلا أن تكونَ خَفيفَة، لا تُشكّل لِحيَة ولا عدمها.

مَضَت الفتاة، غارقةً بعالمٍ جديد، لم تَفقهُه بعد، وليسَ بمَقدورِها أن تَفهمَه كما يجِب. حدثَ ذلك في أوّل يومٍ لها في الجامعة. لا تزال في الثاني والعشرين من عُمرها.

لمدّة أسبوع، عاشَت في الدّرك الأسفلِ من اضطرابِ المَشاعر والعواطِف. دَخلَها الحبّ، في لحظةٍ واحدة بدُفعةٍ واحدة. فَكّر والداها أن يَذهبا بها إلى طبيبٍ نفسي، لكنّها رفضَت بثِقَة من صِحّتها. أرادَت أن تُحدّث صديقتَها بما يحدُثُ معها، لكنها تراجعَت، وفضّلَت الصّمت. في بِداية الأسبوع التالي، كان يوم السّبت. فكّرت أن تغيبَ المُحاضرة التالية: من العاشرة صباحا حتى الثانية ظهرًا. لشُعورها بصداعٍ شديد إثرَ سَهرِها المُستمرّ. وهي بالباب، إذ بالمُحاضر يُطلّ فجأة! لم تكن تعلَم أنّها مُحاضرَته. بحُلةٍ آسرةٍ وساحرة من تلك التي طلّ بها الأسبوع الماضي. ذرفتَ دَمعتَين، لم

تدري لماذا وكيف؟ وقالَت في نفسِها: "حاشا للّه ما هذا إلا ملكٌ كريم." زالَ عنها الصّداع، وعَناء السهر. التفتَت إلى صَديقتِها وقالت: "نحنُ جئنا للدّراسة، وليسَ للّعِب، وأن نتغيّب من البداية فإننا سنَسلُك طريقَ الفشَل. وسنُخيّب آمال والدينا. تَعوّذي من الشّيطانِ الرّجيم، وهيّا نعودُ إلى القاعة. الدّكتور قد دخل". نظرَت إليها صديقتُها بتعجّب، ثمّ قالَت وهما تَدخلان: "سبحانَ مُغيّر الأحوال!!". وكأنّ الصّبح بدَأ من اللّحظة تلك، وهي تتَحدّث بسُرعةٍ وتتحرّك بنشاط: "دراسة، دراسة، لَعبنا كثيرًا".

بعدَ أن أكملَت الطّالبات ترتيبَ أنفسهنّ. قامَ من مَقعدِه إلى السّبورة وكتبَ هذا العنوان بالخطّ العريض: الطّريقُ إلى الجنّة.. ثم عادَ وَقعدَ في كرسيّه. وقال: "سأتحدّث اليوم عن الطّريق إلى الجنّة. التي ظلّها كثيرٌ من شَباب الأمة".

هنا أخذَت الفتاةُ نفسًا عَميقًا، وتبسّمَت كما لم تتبسّم من قبل. أخذَت حَقيبتَها من جوارَها ووضعتْها

أمامها على الطّاولة، اتّكأَت بيَدها اليُسرى عليها بعد أن وَسدّت ذِقنَها على راحتِها. وتَهيّأت للحَديثِ القادم من مَسرحِ القاعة. تَسمّرت بشكلٍ مُتّزنٍ أمامَه تمامًا، لدرجة أنّ الضوءَ الآتي من خلفها لا يَصطدِم بوَجهه، وكأنّها اختارَت ذلك المقعَد بطريقةٍ فيزيائيّةٍ مُحكمَة بالدّقة. أطلقَت عيناها إلى عينَيه. هو في دَرسهِ لا يَدري ماذا يحدُث وهي بدَرسها تدري بكلّ ما يَحدُث. وبدأ يَشرَح: "إنّ الطّريقَ إلى الجنّة، تأتي من هنا، (وأعاد الحركة ذاتها تمامًا، والفتاة تقَع أكثر وأكثر) عندما يَصلح القلب، يَصلُح عملُ الإنسان، بالتالي يقودُ صلاحُ تلك المُضغَة صاحبها إلى الجنّة. أَصلِحوا قلوبَكم، تَسلُك الطّرق أمامَكم. لماذا يفسد شَبابنا اليوم؟ لأنّهم يَسلِكون طُرقًا فاسدةً في الحبّ. يأتون البنات لا من الأبواب الشّريفة، بل يَلتَوون من الخلف، من حيثُ العلاقات التي حرّمها الدّين".

وهو يتحدّث، بدأَت تَتغيّر ملامحُها. بدأَت تَشكّ أن هناك شيء ليسَ على ما يُرام. انهالَت عليها صَدمة.!

صَدمة قد تَجعلُها تغنّي في الشّوارع: "كان يَمشي فوق رِمشي". إلّا أنّها تمالكَت نفسَها. وتصبّرت.

أمسكَت على قلبها وقالت: "يا الله احمِني! ليس الأمر هكذا، كما يَقول الآن. إنّه قال لي بصَريحِ العبارة: الطّريقُ من هنا، من قلبِه. أصابعُه أشارَت إلى قلبِه أمام عيوني. عيناي شاهِدتان على إشارة الحبّ تلك. كان بإمكانه أن يقولَ لي أنّ الطّريق إلى الجنة، تأتي عن طريق إصلاح النيّة، إصلاح السّلوك. لماذا استخدمَ قلبَه؟ لمَ كرّر الإشارة إليه ثلاث مرّات، كان يُمكن بإشارة واحدة وأفهم. أنا أفهمُ من المرّة الأولى، لا أحبّ التّكرار. هو لا يَعرف عنّي ذلك. هل لأنّه جديد علينا يُحاول أن يُكرّر ليُرّغبَنا فيه. لا، لا، ها هو يتَحدّث الآن، ولا يُكرّر. إنه كرّر لي وحدي على الهامِش. وأنا أُراقبُه منذُ بدأ يتَحدّث وقد مرّت نصفُ ساعة، ما كرّرَ كلمةً واحدة مرّتين. وهذا يُؤكّد أنّ الطّريقَ إلى الله تأتي من القلَب. وأن طَريق سَعادتي وحُبّي من قلبه الذي أشارَ إليه ثلاث مرات. عَيناي قادِرتان على الأسر، ألاحظُ ذلك وأنا

أشاهدُ الناس في الشّوارعِ يَبحثون عن أشيائهم في عيوني. كأنّه: الحبّ من أوّل نظرة. وهذا الخِطاب أكاديمي مُوجّه لعامّة البنات. والتّعليم هكذا يتَطلّب. ولا يَعنيني أنا. ولكن ماذا إن كانت اللّحظات التي التَقيتُه فيها على الهامش، عابرة، وأجابَني كما يُجيب الأُستاذ تلميذَه المُستفسرَ من شَيءٍ ما. يا رب، ليسَ هذا، ليسَ هذا، ليس هذا يا رب. فما عِشتُه خلالَ أسبوع كامل بكلّ لحظاته من مَشاعر غربيةٍ تِجاهَه لا يُمكن تكون عبثًا، لن يَقذفَها الله بقَلبي بهذا الشّكل الطّاغِي والجامح الذي سلَبني كليًا، قَدرًا خاطئًا. لم تَكن بيدي، قلبي لم يكُن بيدي، ومن سلبَ مني أسبوعي منّي لا أدري من ولم أتمكّن من مَنعِه. قلبي دَليلي، وسأتبعُه حتى النّهاية. تحدّث أيّها الدّكتور، تحدّث.. إنني مُصغيَةٌ إليك بكلّ حواسي، بكلّ خلاياي ومَساماتي، كلّ شيءٍ فيني يُنصِتُ إليك.. تحدّث، قل أيّ شيء. قل أنّ طريقَ القلبَ يؤدّي إلى الجَحيم، سأسلُكه. كلّ ما يَخرج من شَفتَيك حلالاً زُلالاً. لقد هبطَ بي إلى جنّات النّعيم، أنا الآن

أتحدّث عنك من وسطها. ومن أمام أنهار الخَمر.. وأشاهدُ الشّاربين يَشعرونَ بتلك اللذّة التي يتحدّث عنها القرآن. يا دكتور هنا أمرٌ غَريب: الشّاربين من نهرِ الخَمر، لا يتَرنّحون كما يَفعل خَمر الدّنيا. الأنهار الأربعة تَجري أمامي الآن. الله ما أَمتعَه من مَشهدٍ بديع! وأمام كلّ نهر مجموعة من الناس، نساءً ورجالاً يَشربون.

يَتجمّع أكثرُهم، أمام أنهار الخمر. ويتَركّز الرّجال بشكلٍ مُثيرٍ للانتِباه أمام نهرين: الخمر اللّذيذ والعَسل المُصفّى، أما النّساء يتركّزنَ في النّهرين الآخرين: الماء غير الآسِن واللّبن الذي لم يتَغيّر طَعمُه. وتَساءَلت: أليسَ هنا كلّ شيء على ما يُرام. عمّ يبحثُ الإنسان؟ أم فطرة الإنسان؟

أنت تتحدّث للطالبات، وأنا دخلتُ عينيكَ العَميقَتين ومن هناك رأيتُ الجنّة، وأخذَني الحديثُ منها عنك".

هَرعَت، بعدَه.. بعد أن غادرَ القاعة. كانت تركضُ كمن يَلحقُ شيئا أن أفلتَ منه خسرَه وإلى الأبَد.. إلا

أنّها سبِقتْه، وانتظرتْه بذات المكان الذي التقَتهُ فيه الأسبوع الماضي. وعندما وصلَ إليها. قدِمَت إليه، وبادرتْه قبل أن يقُل شيئًا: "إذا سمحتَ يا دكتور... ممكـ...".

قاطعَها: "عفوًا، عفوًا، يا طالبة. لديّ احتفال هام، وقد تأخّرتُ كثيرًا. مرّة أخرى".

- "احتفال ماذا دكتور، يسعدك الله؟".

ظنّت أنها مناسبة وطنيّة. وأنّه قَد يكونُ له مشاركة ما، وستذهَب لتَحتفلَ بالوَطن معه. الوطنُ هنا كان عندها هو. إلا أنّ ملامحَه العَجلَة لم تَهدأ، وهو يتسرّعها: "احتِفال بذكرى زواجنا. ستَغضَب حبيبتي أن تأخّرت أكثر. معذرةً.. معذرة." وهرولَ نحو الخارج واختَفى..

ومضَت المسكينةُ فاقدةً صوابَها تُغنّي

في شوارع المدينة:

"كنتُ أمشي فوقَ رِمشِه..

ووقفتُ في شُرفةِ عَينَيه،

ومن هناك:
رأيتُ الجنّة
والأنهار..
ومن كلّ الثّمرات
ورأيتُه يَشرَب الخَمر
والعسَل المُصّفى..
وعندما رأيتُ،
ما لم ترَه العيون
وما لم تسمعْ به الآذان،
وما لا يَخطُر على قلبِ بشَر؛
تَحدّثتُ عنه بكلّ شغفٍ وجُنون..
وعلى جدار قلبي الصّغير رسمتُ نَقشَه..
وكان كلّما تبسّم،
غرقتُ سبعين ربيعا بعُشّه
وكان ملاكًا كريمًا
وكان من أمام النّهر يُحدّق في عَينيّ ولا يَراني
ولم يكن يَعلَم أنّني أَسكنُه وأَعيشُه..

وقال: مَعذرةً (طالبتي)!
ومضى بغيرٍ اكتراثٍ تاركًا
لي خلفه: نَعشَه..
ومضى.. وإلى الأبد..
فقرّبوا منّي مَوتَه
ودَعوني أنامُ الأبدَ بنَعشِه..

مرّت الأيّام، ذهبَ ما تبقّى من عقلِ المسكينَة، ذهبَ ذهابًا مُريعًا، كان ذهابًا بالغَ الشّناعة. بكى أهلها بكاءً مُرًا؛ وهم يَنقلونها إلى المَصحّة!

كانت تلك الكلمات آخر ما قالتْه من حياتها.. لم يعُد عَقلُها، ولا احتمالَ لأن يَعود..

اشتهرَت تلك الأبيات في المدينة، وبلغَت شُهرتُها المُدن الأخرى. وصار يُردّدها الجميع، غنّاها المُغنّون، على إيقاعاتِ مُختلفة، وتَرنمَ بها التّائهون في غاباتِ العِشق. وأولئك الذين شارَفوا على الموتِ ولم يُجرّبوا الحبَّ قطّ.

غنّتها الفتياتُ في الأوديَة والجبالِ والسّهول، وبكينَ على أنفسهنّ كأنهنّ البطلَة البريئة، التي سقطَت نَتيجةَ بَراءتها.

وأصبحَ لتِلكَ الأبياتُ تاريخ، وأصبحَت أنشودةً تُميّز مَجموعةٌ من الناس. كتبتَ حولَها القصَص والأساطير، وأُلّفَت من وَحيِها الرّوايات، وأخذَها كلّ مؤلّف وكاتب ورِوائي إلى عالمه الخاصّ. ماتَت الفتاة التي نقلَت عنها الكلمات الحزينة، في حادثِ سَيرٍ وهي في طَريقِها إلى بيتِها، وقد جُمّعت الكلماتُ المتناثرَة من فمِ المسكينَة، كلمةً كلمةً على وَرقةٍ مُنفردَة. وعُثرَ على تلك الورقَة في اليوم التالي، وسطَ شجرةٍ بالقُرب من مَكان الحادث، وكانت تلك أوّل نقطة انتِشارها وشُهرتها. وانتشرَت كقصيدةٍ ليس لها صاحب. وماتَت بطلة قصتناالمجهولة في مصحّتها. وبقيَت الأبيات تَنتقلُ من جيلٍ إلى آخر بلا صاحِب..

"وإن بقيَ سُؤال "من هي بَطلة هذه القصّة؟" مفتوحًا يُؤرّق سكّان المدينة، ولم يجِد إجابتَه الشّافية

حتّى الآن؛ ذلك أمر ليسَ مُهمًا إلى هذه الدّرجَة. الأصل، والذي يجِب أن يهتمّ به النّاس: الأثَر الذي تَركتْه القصّة في نُفوس النّاس والتّاريخ. الشّاهد منها، جمالها وعُمقها وعَبقريّتها، ذلك ما يجِب أن يُثيرَ اهتِمامنا".

هذا ما خلصَ إليه دُكتور العلوم الإسلامية وأُستاذ الأدَب المُقارَن في دراسةٍ أجراها حولَ تلك القصّة التي أَشغلَت النّاس.

"من أينَ الطّريقُ إلى الجنّة؟". سألتْه على هامشِ مُحاضرةٍ مَلحميّة تحدّثَ بها عن الجنّة وزُخرُفِها. في قاعة لطالبات كليّة الحُقوق. نظرَ إليها، بعَينينِ حادَّتين وتائهتَين في المَداءات البعيدَة، وأشارَ إلى صَدرِه، ثمّ قال بإيمان: "إنّها من هنا.. إنّها تبدأُ من هنا." كرّر ذلك وهو يُشيرُ إلى صدرهِ ثلاث مرّات.

منشورات الواحة